Assassines

Le Blog de Farès Sassine

Friday, 21 June 2013

جائزة ميشال زكور للعام 2013 : أحمد بيضونPRIX MICHEL ZACCOUR 2013: AHMAD BEYDOUN

كلمة ممثل لجنة جائزة ميشال زكور، فارس ساسين:

سيداتي، سادتي،
أيها الحفلُ الكريم

من محاسن الصدف أن يكون الحائز الأول لجائزة ميشال زكورهو الدكتور أحمد بيضون. فهذه الجائزة التي تمنح للمرة الأولى هذا العام، ربطت دون سابق تصور بين مؤسس صحيفة **المعرض** (1921-1936) **ميشال زكور** (1896-1937) الصحافي الجريء والسياسي الدستوري المؤمن بالوطن الصغير المستقل عن كل وصاية أجنبية "رغم فرانكوفيليته" كما ينبّه إلى ذلك حذِراً تقريرٌ سريّ فرنسي[1]، وبين راوية **رياض الصلح في زمانه** أحمد بيضون الذي التقى زكور، زائراً أو خطيباً، في كل عودة لرياض بك من منافيه الكثيرة، وفي تحوّل هذه الاستقبالات بين نهاية العشرينات وأواسط الثلاثينات من القرن المنصرم من حفلات إلى مسيرات ومهرجانات. وهكذا، إلى اللقاءات الثلاثية - مع حفظ الأحجام وتباين الأزمان- في الحدث التاريخي، يمكن إضافة ما سمّاه الصلح "وحدة القلوب" أثناء حركات الإحتجاج الإقتصادية الشاملة في العام 1935، وفي تقديم استقلال لبنان على كل ما عداه منذ 1928[2] على الأقل.

وقد يكون من محاسن الصدف أيضا أن جائزة ميشال زكور التي تعطى عن كتاب أو رسالة أو بحث الفّه لبناني بإحدى اللغات الثلاث العربية والفرنسية والإنكليزية عن موضوع اقتصادي أو سياسي أو ثقافي لبناني، ولا تعطى لكاتب ما أو لكامل مؤلفاته ، جمعت هذا العام بين المؤلِف والمؤلَف. فكانت من نصيب أحمد بيضون على كتابٍ له صادرٍ عن دار الساقي عام 2012 بعنوان **لبنان الإصلاح المردود والخراب المنشود**. إختيرت، في المرحلة الأول، مجموعة من المؤلفات الصادرة في ذلك العام، وكان معظمها لافتا للانتباه ومحقّقا للشروط، ثم

اصطفي هو منها في مرحلة لاحقة. وليس هذا الكتاب طارئاً على اهتمامات المؤلف أو منهجه. يقول بيضون: " الكتاب الحاضر إذا تكثيف وتأليف لجهد اتّصل من مدّة نيّفت على ثلاثة عقود. وهو يستعيد خلاصات أفضى إليها هذا الجهد ويستكملها بتفحّص الحاضر ويضعها على محكه." وهكذا في اختيارها لهذا الكتاب تكون اللجنة قد توّجت إرثا كاملا دون سعيها المباشر إلى ذلك.

يتناول الكتاب مجريات الأزمة التي تعصف بالنظام السياسي في لبنان وبمجتمع البلاد السياسي منذ العام 2005، أي منذ خروج الجيش السوري من لبنان، مبيّنا جذورها في تاريخ النظام الطائفي، واصفا بناها وديناميّاتها، مظهرا انتقالها إلى طور "أرفع" في الطائفية. ولا يكتفي الكتاب بالتحليل والتعليل بل يرسم توجهات وحلولا للخروج مما أصبح يشكل أزمة دائمة ذاهبة نحو الانفجار والانهيار المعمم، فيعدّل ويزيد في "جدول أعمال" أقترحه ما قبل 2005 للهيئة الوطنية لإلغاء الطائفية السياسية التي نصّ عليها اتفاق الطائف ولم ترَ النور بعد.

وإن كان هذا الكتاب يبدو للوهلة الأولى مجموعة نصوص مختلفة المصادر والتواريخ ومكتوبة، على عادة المؤلف، بلغة مشرقة تعيد للعربية ألقها أو تبتكر لها ألقا جديداً، وفي مطلق الأحوال تُصالحها مع الحداثة من دون تفريط أو افتعال، إلا أنه، في نصف صفحاته، جاء صيغة تامة غيرمسبوقة لتقرير متكامل ولأربعة "دروس" أعطيت في الكوليج دي فرانس في أيار 2008 وكان المحاضر، على ما أظن، أول لبناني يعطي فيه دروساً منذ المارونيين العثمانيين جبرائيل الصهيوني (1577-1648) وإبراهيم الحاقلّاني (+1664)، وكان اسم المؤسسة يومها الكوليج رويال[3]. وهكذا يبدأ هذا القسم للمرة الأولى بفصل فلسفي تاريخي عنوانه "عمل التجريد السياسي" يَصلح للتدريس في الجامعات ولتنشئة المواطنين كافة على المواطنة الحقّة. أما المقالات المجموعة في النصف الثاني من الكتاب، فهي إلى كبير أهميتها وارتباطها الوثيق بالموضوع، إختيرت وعدّلت ليكون للمصنف وحدته ونسقه، وليجد فيها النصف الأول ما يدعمه ويثريه.

إطمئنوا: لن أوجز الكتاب أولا لضيق الوقت، وثانيا لغنى التضاريس والخطوط في البحث، وأخيرا لتولي المؤلف الموضوع أو ما يراه منه. أكتفي، مع اللجنة، بالإحالة إلى **لبنان الإصلاح المردود والخراب المنشود** داعيا إلى ما سمي يوماً " قراءةً مكابدةً".

* * *

في مكان ما[4] من كتابه **الصراع على تاريخ لبنان**[5] يرى أحمد بيضون أن المؤرخين الذين قاربوا على النحو الأكثر نقدية وقرباً من الواقع، أي الأكثر موضوعية، تاريخ لبنان هم إمّا المنتمون إلى طوائف هامشية وإما الهامشيون في طوائفهم. وأحمد بيضون لا ينتمي إلى طائفة هامشية (في أضعف الإيمان)، وليس صعلوكاً لا في طائفته ولا في أي مؤسسة انتمى إليها طوعا أو عُرفاً. فمن أين جاءه هذا التحرر من الخرافات وسلوك هذه الدروب الوعِرة؟

جاء، بلا ريب، من كونه فردا، والفردية تكتسب، ومن كونه مواطناً ولو في جمهورية "متقطعة" ومتفسخة، ومن كونه إنسانا مجاهدا في سبيل المعرفة، خلوقا، ودوداً.
أي من كونه أحمد بيضون.
وفي هذا برهان وافٍ على أطروحات الكتاب المختار الحائز على الجائزة.